موتيف استدعاء الشخصيات التراثية في شعر يـــحيى السماوي

رسول بلاوي*

أستاذ مساعد بـــجامعة خليج فارس في بوشهر

علي خضري

أستاذ مساعد بـــجامعة خليج فارس في بوشهر

مرضية آباد

أستاذة مشاركة بـــجامعة فردوسي في مشهد

(٧٠-٥١)

تاريخ الاستلام: ٩١/٠٩/٠٨؛ تاريخ القبول: ٩٢/٠٦/٢٧

الـــملخّص

يعد الـــموتيف في الشعر من الظواهر التي تستخدم لفهم النص الأدبي؛ ولا يقوم فقط على مجرد التكرار في السياق الشعري، بل ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالي في نفس الـــمتلقي. وقد حاول الشاعر العراقي يـــحيى السماوي أن يجعل من الـــموتيف أداة جمالية تخدم الـــموضوع الشعري، وتؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات، و تكشف عن الإلـــحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه. و من أهم موتيفاته التي تحمل دلالات وثيقة الصلة بحياته و نفسيته "استدعاء الشخصيات التراثية"، فقد وردت هذه الـــموتيفات في شعره بكثافة و قد انزاحت عن معناها الـــحقيقي لتحمل دلالات و رؤىً جديدة. هذه الدراسة التي اعتمدنا في خطتها على الـــمنهج الوصفي – التحليلي، ترصد استدعاء الشاعر للشخصيات التراثية ودلالاتها في تجربة الشاعر؛ فقد وجد الشاعر طاقات غنية في استدعائه لهذه الشخصيات التراثية فاتخذها أداة للإفصاح عن مشاعره، أو تجسيد أفكاره؛ استطاع الشاعر أن يوظّف هذه الشخصيات إما لتحفيز الهمم وإما للصبر والنضال، وإما لبيان الوضع الهش والـــموقف الهزيل للأمة العربية والإسلامية، وإما لبيان التمرد والرفض وعدم الـــخنوع.

الكلمات الدليلية: الشعرالعراقي الـــحديث، الـــموتيف، يـــحيى السماوي، التراث، استدعاء الشخصيات.

* البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: r.balawi@yahoo.com

Archive of SID

www.SID.ir

١- المقدمة:

لقد حظي البحث عن الموتيف باهتمام واسع في النقد الأدبي الأوروبي باعتباره عنصراً فعالاً في النقد وتحليل النصوص الأدبية. أصل كلمة "الموتيف" فرنسية، تعني في اللغة الحركة، الإثارة، الإلحاح و الدافع.

تستخدم مفردة "الموتيف" في فنون و علوم مختلفة، منها: الرسم، والنحت، والهندسة المعمارية، والموسيقى، والحياكة، والخياطة، والتصوير والأدب. فعلى سبيل المثال، الموتيف في فن التصوير يعني العنصر المكرّر الذي يلعب دورا أساسيا في الفلم لفهمه. فالتكرار هنا قد يكون حوارا، أو نبرات موسيقية، أو سلوك الشخصيات، أو نورا، أو صوتا، أو مكان آلة التصوير،... (اسلامي، ١٣٨٦هـ ش: ٧٥).

والموتيف في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرّر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكررة، أو الحافز والباعث (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٨). ولا يخفى أن التكرار هو السمة الغالبة على الموتيف في الأعمال الفنية والأدبية.

تُعرّف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل (البنية .. إلخ) أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي (الشامي،٢٠٠٧م: ٢٩).

١-١- أهمية الموتيف:

لا يخفى أنّ تكرار فكرة أو صورة أو رمزٍ ما لتكوين الموتيف، يعني أهمية تلك الفكرة والصورة والرمز عند الشاعر، حيث تضجّ وتُرغي في رأسه حتى تملأ عليه نفسه، وبتعبير آخر فالموتيف دلالة نفسية، تشير إلى انهماك الشاعر في بُعد معين أو استغراقه في فكرة ما «تبدأ له من تراث إنساني و روحي، وكأنك تحس بها قد أغلقت دونه كل طريق، فحيثما اتجه يمثلها هناك، فإذا هو أغلق نفسه دون الأشياء، إصطدم بها كذلك في أعماق نفسه» (اسماعيل، ١٩٧٢م: ١٦٦). ثم يروح يقول بها و يمدّها بشرايين جديدة، تعطيها القوة و الحيوية و الألق، و تحقق لها حضورها و فاعليتها.

الموتيف يساعدنا في تفهم أسلوب الشاعر، مثلما يشير إلى القضايا / الأفكار التي كانت تتفاعل في ذهنه؛ وإذا وجد عند شاعر من الشعراء فإنما هو يوضح تلك العلاقة الحميمة والتلاحم الكبير بين هذه الصور والمعاني وبين الواقع النفسي للشاعر و لتوجهاته و آرائه.

Archive of SID

www.SID.ir

كما أن الشاعر يستخدم الـــموتيف ليضخّ من خلاله ما يتراكم في داخله وما يعتمل في صدره، و ليفرّغ الشحنات التي تتصادم و تقدح بين أضلاعه كعملية تنفيس و تخليص.

الـــموتيف لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، وإنـــما يقوم على ما تـــتركه هذه اللفظة من أثر انفعالـــي فـــي نفس الـــمتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الـــموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الـــجانب لا يـــمكن فهمه إلا من خلال دراسة الـــموتيف داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل موتيف يـــحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، ولولا ذلک لكان تكراراً لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعري، فالـــموتيف إحدى الأدوات الـــجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره في إثراء الدلالات و البناء الشعري.

١-٢- دلالات الـــموتيف:

الـــموتيف يعتبر من أهم الـــمكونات لدراسة الأفكار و الأغراض في النقد الأدبي وتـــحليل النصوص، ويـــمكن لنا أن نحدّد مفهومه كما يلي:

أولاً: كل عنصر مكرّر حسّاس في النص، وهذا العنصر الـــمكرّر قد يكون شيئاً، أو حدثاً، أو صوتاً، أو صورة، أو لونا، أو مكاناً، أو زماناً، أو فضاء، أو مشهدا، أو حالة نفسية (كالـــحزن، والفرح، والـــجنون، والـــخوف، ...) أو غير ذلك، فالعامل الذي يـــجعل هذه العناصر موتيفاً هو التكرار، فمثلا: اللون بذاته لا يعتبر موتيفاً، ولكن عندما يتكرّر يلفت انتباه الـــمتلقّي، فيبقى يبحث عن سر هذا التكرار محاولاً الكشف عمّا وراء النص.

ثانياً: الأفكار، والأغراض والـــموضوعات الـــمكرّرة في أعمال شخصٍ ما أو جيل أو فترة زمنية مـــحددة.

هذان الـــمفهومان (أي العنصر والـــموضوع) يشتركان في قضية التكرار، ويـــختلفان في بُعدي اللفظ والـــمعنى. فالـــموتيف في الـــمفهوم الأول يهتمّ باللفظ - ولو أنه يكون في خدمة الـــمعنى والـــموضوع- وفي الـــمفهوم الثاني هو تكرار الفكرة/ الـــمعنى/ الـــموضوع.

وقد تكون للموتيف وظيفة رمزية، فالـــمفردات/ الـــموتيفات عندما تتكرّر في أعمال الشاعر تحمل دلالات و إيـــحاءات رمزية.. وبعبارةٍ أخرى تكرار العنصر الفعّال في النص لكي يصبح موتيفاً يضفي عليه إيـــحاءات ودلالات جديدة تؤهّله ليكون رمزاً، كموتيف/ رمزية شخصية الإمام الـــحسين (ع) في الشعر الـــمعاصر.

Archive of SID

www.SID.ir

١-٣-خلفية البحث:

أوّل دراسة ظهرت في الأوساط الثقافية الغربية حول الموتيف، هي الدراسة التي أعدّها "استيت تامسون" أواخر الستينات من القرن العشرين تحت عنوان "معجم موضوعات الأدب العالمي". والدراسة الثانية في هذا المجال هي دراسة " اليزابت فرنزيل" الآلمانية، التي أثرت المكتبة العالمية بكتابين هما: «مضامين الأدب العالمي» و «موتيف الأدب العالمي»، و قد اهتدى بهما الكثير من الباحثين (تقوي، ١٣٨٨ش: ٨ و٩).

أما الدراسات التي نالت قصب السبق في تجربة السماوي نخصّ منها بالذكر كتاب حسين سرمك حسن، الموسوم بـ"إشكالية الحداثة في الشعر السياسي/يحيى السماوي أنموذجاً"، وكتاب محمد جاهين بدوي الموسوم بـ"العشق و الاغتراب في شعر يحيى السماوي"، وكتاب فاطمة القربي الموسوم بـ"الشعر العراقي في المنفى/السماوي نموذجاً"، و كتابي عصام شرتح الموسومين بـ" آفاق الشعرية/دراسة في شعر يحيى السماوي" و" موحيات الخطاب الشعري/دراسة في شعر يحيى السماوي". وكل هذه الدراسات والبحوث المقدّمة لم يتطرّق أصحابها إلى موضوع الموتيف في شعر السماوي.

وإنّنا في هذا المقال سوف نعالج موضوع موتيف "استدعاء الشخصيات التراثية" في شعر الشاعر العراقي يحيى السماوي. وسوف نحاول أن نجيب في هذه الدراسة على الأسئلة التالية: ما هو الموتيف و دلالاته النقدية في الشعر؟ كيف يستدعي السماوي الشخصيات التراثية باعتبارها موتيفات تتكرّر في شعره؟ و ما هو أثر هذه الموتيفات على مخيلة المتلقي؟ وما هى الدلالات التي تحملها هذه الموتيفات في شعر السماوي؟

١-٤- حياة الشاعر

هو يحيى عباس عبود السماوي، وُلدِ بمدينة السماوة بالعراق في السادس عشر من مارس ١٩٤٩م، يعتبر من روّاد الشعر العربي الحديث، امتلك ناصية الشعر في وقتٍ مبكر، تخّرج في كلية الآداب جامعة المستنصرية عام ١٩٧٤م، ثمّ عمل بالتدريس و الصحافة و الإعلام، استهدف بالملاحقة و الحصار من قبل البعثيين في النظام الصدامي حتى فرّ إلي السعودية سنة ١٩٩١م، و استقرّ بها في جدّه حتى سنة ١٩٩٧م يعمل بالتدريس و الصحافة، ثم انتقل مهاجراً إلى أستراليا؛ و بها يقيم حتى كتابة هذه السطور. (بدوي ، ٢٠١٠ م : ١١).

Archive of SID

www.SID.ir

اشترک مقاتلاً في الانتفاضة الشعبية ضد نظام صدام حسين عام ١٩٩١م، و إثر فشل الانتفاضة لـــجأ الشاعر الي الـــمملكة العربية السعودية، حيث أقام في ضيافة الـــمملكة نحو ستّ سنوات عمل خلالها رئيساً للقسم السياسي و الثقافي في إذاعة « صوت الشعب العراقي» الـــمعارضة للنظام العراقي، و التي كانت تُبثّ من مدينة جدة، و في هذه السنوات الستّ أعدّ عشرات البرامج السياسية، و نشر أكثر من ثلاثمائة مقال سياسي في الصحافة العربية حول جرائم النظام ومنهجه التعسفي، إضافة الى ما نشره من دواوين شعرية. (القرني ، ٢٠٠٨ م: صص ٢٩ و ٣٠).

أصبح يحيى السماوي شاعر القضية العراقية وشاعر الإنسانية ونصير الشعب الـــمضطهد؛ فنذر حياته مشرداً في أصقاع الـــمعمورة الى أن استقرّ به الـــمقام واضعاً عصاه في أستراليا.

٢- التراث واستدعاؤه في الشعر الـــمعاصر:

قبل أن ندخل في كيفية إستدعاء التراث، وأهميته، وأهم آلياته في إثراء النص الشعري في الأدب الـــمعاصر يجب أن نتطرّق إلى التعرّف على "التراث" لغة واصطلاحاً، فهذا الأسلوب يساعدنا على استيعاب الـــمباحث والتمهيد لها.

التراث في اللغة: «هو الورث والإرث والـــميراث وأصل التاء في التراث "الواو"؛ ويقال: وَرِثْتُ فلاناً مالاً أَرِثُه وِرْثاً وَوَرْثاً إذا ماتَ مُوَرِّثُكَ، فصار ميراثه لك. وأَوْرَثَ الـــميتُ وارِثَهُ مالَه أَي تركه له» (ابن منظور، ١٤١٠هـــ : مادة ورث).

و التراث بـــمفهومه الاصطلاحي هو خلاصة ما خلفته (ورثته) الأجيال السالفة للأجيال الـــحالية في مختلف الـــميادين الـــمادية والفكرية والـــمعنوية. فهو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل.

و للتراث وظيفة أساسية في تجلية الهوية الـــحضارية للأمة، وتأكيد ذاتها وحماية هذه الذات من الذوبان والانكسار، باعتبار أن التراث يتّسع لمجموعة الرؤى والأفكار والـــخبرات والإبداعات مما أنتجته الأمة في طول تجاربها الحياتية الشاقة في حالات الانتصار والهزيمة، وفي حالات الإزدهار والركود، وفي حالات الزمن الـــمتحرك الـــمحيط بجميع فعاليات الأمة ومكتسباتها (فائزي، ٢٠١١م: موقع الـــمثقف).

لقد أدرک الشعراء الـــمعاصرون أنّ التراث مصدر غني وهام يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قاموا باستدعاء الشخصيات التراثية في شعرهم بغية توظيفها في بنية

Archive of SID

www.SID.ir

النصّ، بما تحمله من دلالات وإشارات تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات تُعتَبر من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي، لأن الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إيحاءات دلالية وعاطفية، تفرض على القارئ نوعاً من الإمتزاج الذاتي، وتمثّل حضورا قويّا في وعيه و لاوعيه الفردي والجماعي. وتوظيف الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، يعني «استخدامها تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر يعبر من خلالها، أو يعبر بها عن رؤياه المعاصرة» (زايد، ١٩٩٧م: ١٣).

ومن أسباب اتجاه الشعراء العرب المعاصرين إلى الشخصيات التراثية في شعرهم هي الظروف السياسية والاجتماعية الخانقة التي مرّت بها الأمة العربية؛ ففي العصر الحديث مرّت الأمة العربية بظروف من القهر السياسي والاجتماعي، وأدت فيه كل الحريات، وفرض على أصحاب الرأي ستار من الصمت الثقيل كانت أية محاولة لتجاوزه تكلف صاحبها حياته (المصدر نفسه: ٣٢ و٣٣). فلهذا استخدم الشعراء العرب المعاصرون الشخصيات التراثية في شعرهم ليستطيعوا أن يتستروا وراءها من بطش السلطة إلى جانب ما يحققه هذا الاستخدام من غنى فني. ففي الواقع إنّ الظروف القاسية التي اجتاحت البلاد العربية هي التي دعت الشاعر أن يلجأ إلى استخدام الرموز بما فيها الشخصيات التراثية ليتكلّم من خلالها ويعكس معاناته ورؤاه بحرية أكثر.

٢-١- وظيفة الاستدعاء في إثراء النص:

لقد أدرک الشاعر المعاصر أنه باستغلاله هذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير؛ وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة و نوعا من اللصوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حي و دائم في وجدان الأمة، و الشاعر حين يريد الوصول إلى وجدان أمته عن طريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل إليه بأقوى الوسائل تأثيرا عليه، و كل معطى من معطيات التراث يرتبط دائماً في وجدان الأمة بقيم روحية و فكرية و وجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاک من معطيات التراث لإثارة كل الإيحاءات و الدلالات التي ارتبطت به في وجدان السامع تلقائياً (المصدر نفسه، ١٩٩٧م: ١٦)، فليس غريبا إذن «أن نجد الشاعر يفسح

Archive of SID

www.SID.ir

الـــمجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه والتي مرت ذات يوم بنفس التجربة وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه (اسماعيل، ١٩٦٧م: ٣٠٧).

ولا بدّ أن نشير إلى أن توظيف أسماء الأعلام التاريخية / التراثية يتمتَّع بحساسية خاصة لأنَّ هذه الأسماء بطبيعتها «تحمل تداعيات معقدّة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والـــمكان» (مفتاح، ١٩٨٦م: ٦٥)؛ لهذا فإنّ إدراك القارئ، لدلالة مثل هذه النصوص، التي تقوم بتوظيف أسماء الأعلام التراثية يتوقف على معرفة القارئ بهذه الشخصيات وإمكانية تعيينه لها من خلال السياق.

من الطبيعي أنّ الشاعر لا يتعامل مع التاريخ مثلما يتعامل الـــمؤرخ الذي تهمُّه الـــحقائق التاريخية، فيمحّصها بحثاً عن تأكيدٍ لها نفياً أو إثباتاً. أمّا الشاعر فـــ«يضفي عليها من ذاته و واقعه، و طبيعة الـــحالة النفسية التي دفعته إلى الاستعانة بجزء من التاريخ. و هو يتعامل معها على وفق قناعته بما تكتنفه هذه الـــمادة التاريخية من قيمة معنوية و دلالة إيحائية يريد إيصالها الي ذهن الـــمتلقي و شعوره» (حداد، ١٩٨٦م: ٨٠).

٢-٢- مصادر الاستدعاء في الشعر:

إن الدارس للشعر العربي الـــحديث يلحظ أن مصادر التراث التي استرفدها الشاعر الـــمعاصر قد تنوعت وتعددت ما بين: مصادر دينية، ومصادر تاريخية، ومصادر أدبية، ومصادر شعبية، وقد كان لهذه الـــمصادر أثر كبير في تعميق تجربته الشعورية، وإرهاف أدواته التعبيرية، ولعل استرفاده الـــموروث الأدبي بخاصة، واستخدامه له يكون قد برز واضحاً في صور تعامله مع التراث، حيث تتجلى طبيعة ارتباط الشاعر بالـــماضي، ومدى تفاعله معه، وقدرته على توظيفه وتطويره، والإضافة إليه.

فقد تأثّرَ الشعراء في العصر الـــحديث بالشخصيات التاريخية بصفة عامة، والشخصيات الأدبية بصفة خاصة، إذ إن استدعاء الشخصيات في النصوص الـــحديثة، بمثابة الارتداد الفني بالرجوع إلى الـــماضي لشحن نصوصهم بدلالات شتى ما كانت لتتأتى لولا هذه التقنية الفنية التي تحاول استنطاق الشخصية الـــمستدعية ومحاورتها أحياناً لنقد الواقع أو السخرية من أحداثه ووقائعه الـــمتناقضة أو الفاسدة؛ وبمعنى أدق، إن الشخصية الأدبية الـــمستحضرة أشبه بالـــمرآة الـــخفية التي تعكس الوجهين معاً في آن، وجه الـــماضي بإشراقه ونضارته، ووجه الـــحاضر بتناقضاته وسلبياته.

Archive of SID

www.SID.ir

٣- استدعاء الشخصيات في شعر السماوي:

الشاعر يحيى السماوي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين أحسنوا استدعاء الشخصية التراثية في شعرهم؛ وذلک يعود إلى اطلاعه العميق على التراث العربي والإسلامي. وقد وجدناه يلحّ على استدعاء بعض الشخصيات دون غيرها للتعبير عن رؤيته الفنية، حيث اعتبرناها في هذه الدراسة موتيفات لابدّ من دراستها.

يعد توظيف الشخصيات والرموز التراثية سمة بارزة في شعر السماوي، وهي تشير إشارة جلية إلى عميق قراءته للتراث، وقدرته على استغلال عناصره ومعطياته التي من شأنها أن تمنح القصيدة فضاء شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات والدلالات.

٣-١- استدعاء الشعراء القدامى:

تتخلل قصائد يحيى السماوي أسماء كثير من الشعراء الأقدمين والمعاصرين. فهو يلحّ على إعادتها، كي يراها ماثلة بين عينيه، نضاحة بمكتنزاته الوجدانية، وكأنّ حضورها هو الذي يقيه من الموت في المنفى، ويؤكد وجوده، ويصل ذاكرته بذاكرة الوطن .. إنه يستعيد بهذه الوجوه والأسماء عالمه الحبيب الذي كُتب عليه الأشقياء أن يحرم منه، أما أسماء الشعراء القدامى فقد نظمها على هذا النسق:

نُعاقِرُ قهوةً بالهيل آناً ... ونسمُرُ تحت دالية بآنِ
وحيناً نستريحُ إلى قصيدٍ ... لقيس بن الملوّح وابن هاني
وللضلّيل قام إلى عبيطٍ ... ليرشف مِن قوارير الغواني

(هذه خيمتي .. فأين الوطن: ٨٢)

يستلهم الشاعر شخصية "قيس بن الملوح" و "ليلي العامرية" للتعبير عن شدة حنينه وحبه لوطنه، وتشرده عنه. وذلك قوله:

هَوِّنْ عليكَ فإنَّ حَظَّكَ في الهوى ... حَظُّ (ابنِ عَذْرَةَ) في هُيامِ (مَهاةِ)
يا صابراً عِقْدَينِ إلاّ بضعةً ... عن خبزِ تنّورٍ وكأسِ فُراتِ
ليلاكَ في حُضْنِ الغريبِ يشُدُّها ... لسريره حَبْلٌ من السُرُفاتِ

Archive of SID

www.SID.ir

تبكي وَتَسْتَبكي ولكن لا فَتىً ... فَيفكَّ أَسْـــرَ سبيئةٍ مُدْماةِ
يا صابراً عِقْدَينِ إلاّ بضعةً ... (ليلى) مُكَبَّلَةٌ بقَيدِ (غُزاةِ)
ليلاك ما خانَتْ هواكَ وإنما ... (هُبَلُ الـــجديدُ) بزي (دولاراتِ)
إنَّ (الـــمريضةَ) في العراقِ عراقَةٌ ... أمّا الطبيبُ فَمِبْضَعُ الشَهَواتِ

(نقوش على جذع نخلة: ٧٤- ٧٥)

يبدأ الـــمشهد التمثيلي بتوجه الأنظار نحو ابن عذرة (السماوي) ومعشوقته ليلى (الوطن)؛ فمعشوقة السماوي في حضن الغريب، مكبلة بقيد الغزاة! وقد سلبها الاحتلال. فهو «عاد إلى وطنه بعد طول غياب وضنى واغتراب ليجد محبوبته – ليلاه، عراقه - بين أحضان الغريب! تماماً كحال ابن عذرة (قيس بن الـــملوح العامري) الذي صبر على معاناة حبه لليلى وتشرده بعيداً عن القبيلة سنيناً، حتى فوجيء في لحظة العودة أن ليلاه في حضن آخر غريب. هكذا بدت العراق بالنسبة للشاعر» (خفاجي، ٢٠١٠: ١٨١). فالشاعر يلخص علاقته بالوطن من خلال الـــحبيبة؛ فنستشف منها صدق الانتماء وحرارة العاطفة لأنّ الوطن في مفهوم السماوي عشق ومعاناة وتضحية وتشرد وقد تشرب نفسه كل تلك الـــمعاني.

كذلك قوله:

للموحشـــاتِ أكنـــتُ مغتـــرباً ... دامي الـــخطى أو كنتُ في بَلَدي
للموتِ يـــجفوني فـــأَتْبَعُهُ ... أَمَـــلاً بِعَطْفِكِ يومَ مُلْتَحَدي!
أنا (قَيسُكِ) الـــمطرودُ خيمتُهُ ... بينَ الـــخيامِ يتيـــمةُ الوَتَـــدِ!
يا حُزْنَ ماضي العمرِ يا أَبَتي ... يا صَبْرَ باقي العمرِ يا وَلَدي
رِفْقاً بِعُكّازي فَقَـــدْ وَهَنَتْ ... ســـاقـــي وأحـــداقي بلا مَدَدِ

(نفسه: ٤٥- ٤٦)

تمثل هذه الأبيات حالة الهـــمّ، والـــحزن، والألم الـــمكبـــوت الذي خالط قلب الشاعر، وهو همّ يريد الشاعر أن يخرج به من دائرة الإحساس إلي الشعر. نلاحظ أن الشاعر قد تقنع بشخصية "قيس بن ملوح" – مجنون ليلي – الذي من أجلها جاب الصحاري، وشرد وعاف الديار، حتى ذهب عقله؛ فكما كان "قيس" مجنونا بليلى، هو مجنون العراق رغم بعده عنه. ولا يخفى أن ليلى الـــمحبوبة لدى الشاعر هي الوطن، الذي يهيم به كما هام الـــمجنون بليلاه.

Archive of SID

www.SID.ir

تتحد علاقة الشاعر بالوطن، ووصل الأمر بشاعرنا إلى حالة الوله والعشق الصوفي الذي تفنى فيه. وهذه العلاقة القائمة بين الشاعر ووطنه سبباً مباشراً في إضفاء الشعور بالمرارة.

٣-٢- استدعاء شعراء و فنانين عراقيين:

وذكر من المحدثين شعراء العراق والفنان العراقي " فؤاد سالم " وذلك في قصيدة "من يملك الوطن"، فيقرن أسماء الشعراء بأسماء الأبطال المناضلين الذين ثاروا على النظام البائد، واستشهدوا في سبيل تحرير الوطن رجالاً ونساءً:

يملكهُ الشاهدُ والشهيد / وموقظُ الثورة من سُباتِها / يملكه الطريدْ / وشاهر السيف على " أبرهة الجديدْ " / و" مريم الناعمُ " ... " أم مصطفى "/ و " حيدر الجضعانْ "/ " نازك والسياب والجواهري .. / سعدي .. بلندٌ .. وفؤادٌ ../ كاظم الريسانْ "/ يملكه كلَ الذين أعلنوا العصيانْ / على عدوّ الله والإنسانْ/ فليُسْقِطوا هوية الأوطانْ / عنّا ../ غداً نُسْقِط عن رقابهم رؤوسَهم/ فيسْتَعيد مقلتيه " شاكر الجوعانْ " (نفسه: ١٢٢ و١٢٣)

وهؤلاء أكثرهم من شهداء الانتفاضة الشعبية في مدينة السماوة التي ينتمي إليها الشاعر، ويترنم بها في قصائده.

٣-٣- استدعاء الشخصيات التاريخية:

٣-٣-١- المعتصم

استلهم الشاعر يحيى السماوي موقف "المعتصم" وصرخة المرأة المظلومة التي امتهنت كرامتها على يد رجل من عمورية، ليسقطه على الواقع العربي والعراقي الحاضر، من فقدان النخوة والغيرة. وذلك في قوله:

كيف / يقومُ بيننا (مُعْتَصِمٌ) / يذودُ عن كرامة (الحُرَّةِ) / حين يسْتَبيحُ خِدْرَها المنبوذُ والآفِكُ والهَجينْ / إن كانت (الأُمَّةُ) قد أوْكَلَتِ (العصْمَةَ) للغريبِ / فهو الآمرُ الناهي.. ولي أمرِها.. / وصاحبُ القرارِ ــ وقتَ الفَصْلِ ــ بين الظنِّ واليقينْ؟ (نفسه: ١١٤).

أصبحت هذه الحادثة رمزا للكرامة والعزة عبر التاريخ الإسلامي؛ واليوم غدا الأمر مختلفاً، فلم تعد العزة والغيرة قائمة، ولم يتحرك العرب لنجدة المظلومين. وهذه الصورة التي رسمها الشاعر في هذا المقطع، تمثل صورة الجبن، والمؤامرة، والتخاذل، وحماية العدو، وتبين بشكل مؤلم، وفاضح عن رداءة الواقع المتخاذل العربي. فهذا الاستحضار، يجعلنا نتذكر الماضي، يوم كانت العزة والغيرة تحرك المشاعر، واليوم غدا الحال غير ذلك؛ فجاء

Archive of SID

www.SID.ir

التوظيف مفارقاً بين عصرين؛ عصر العزة والكرامة في ماض ذهبي، وعصر الـــمهانة والتخاذل في حاضرٍ لازال أهله يعانون أعمال حكامهم، فهم بدلاً من أن يتمسّكوا بحبل الله صاروا يعتصمون بحبل الاستبداد، والـــمحتلين والغزاة. فيستهدف السماوي ما يحمله هذا التوظيف من أثر دلالي على الـــحاضر بتسليطه الضوء علي طبيعة الـــحكام والـــخونة، و تبيين مرارة الواقع الـــمتردي السياسي الـــمرير في العالم العربي.

٣-٣-٢-صلاح الدين الأيوبي

ويستدعي الشاعر شخصية "صلاح الدين" التي تميزت بمكانة كبيرة في مجال الأدب والدراسات الـــحديثة، فيقول:

كيف يقومُ في جموعِنا (صلاحُ الدينْ) / ونحن لا (صَلاحَ) في نفوسِنا / مُسْتَبْدِلين لَذَّةً زائلةً بـــ (الدِّينْ)؟ /كيفَ يضوعُ صُبْحُنا مَسَرَّةً / وليلُنا وِداداً / إنْ كان فينا نَفَرٌ / يرى الـــخرابَ نعمةً / وَذَبْحَ إنسانٍ نضالاً / واختطافَ امرأةٍ شَهامةً / وَنَسْفَ بَيتٍ آمنٍ جِهادا؟. (نفسه: ١١٥- ١١٤)

إنّ شخصية "صلاح الدين"، كشخصية بطولية احتلت مكانتها في مخزون الذاكرة العربية – بغض النظر عن أعماله السلبية والايجابية – فاستثمرها الشعراء على اختلاف رؤاهم. وهنا يستدعي الشاعر شخصية صلاح الدين لكشف الـــموقف الـــمؤلم الراهن بما فيه من وهن، واستسلام، ومآسٍ، ونفاق بين الشعب، وجعلها متكأً يعلق عليه الشاعر شكواه من الـــحال الـــمريرة التي يعانيها شعبه؛ والشاعر بهذا التوظيف يولد إحساساً أليماً في نفس الـــمتلقي، وهذا التوظيف يساعد على تعميق الإحساس لكشف عمق الـــمأساة والتجافي عن الدين والاستسلام لحياة الذل وقتل الشقيق باسم الـــجهاد. إذن؛ ففي هذا الـــحال الـــمؤلم كيف لا تسقط كرامة البلد، وكيف تكون قادرة على إنـــجاب صلاح الدين الـــجديد القادر على استعادة الكرامة والعزة.

٣-٣-٣-شخصية أبو رغال:

ويستدعي الشاعر شخصية تراثية ذات مدلول سلبي بوساطة الكنية، وهذه الشخصية هي شخصية "أبو رغال" وقد اشتهر أبو رغال بقصته الـــمعروفة كدليل لأبرهة الـــحبشي عندما قصد الكعبة هادماً:

تبدّلت النـــفوسُ و عفّـــرتـــها مـــطامِعها فـــغيـــرتِ الـــخصالا

Archive of SID

www.SID.ir

و لُوّنتِ الوجوه فلستَ تدري أ"معتصماً" تُحَدّثُ أم "رغالا"
لُعِنتَ "أبا رغال" كم حفيدٍ تركتَ بنا يماهيکَ ابتذالا
لُعِنتَ "أبا رغال" بئس جاهاً كسبتَ و بئس منزلةً و مالا
فَتَبّاً للدليل يقودُ زحفاً على أهليه غياً أو حلالا

(الأفق نافذتي: ١٢٣)

يعلّق الشاعر على هذه الشخصية قائلاً: المقصود "أبو رغال" العربي الملعون الذي قام بدور الدليل لجيش أبرهة الحبشي في غزوة مكة المكرمة.

في هذه المقطوعة يختار الشاعر ما يناسب تجربته من ملامح هذه الشخصية، و هو ملمح الخيانة، إذ يؤول هذا الملمح تأويلاً خاصا يلائم طبيعة التجربة لديه، ثم يعبّر عن الواقع المعاش من خلال هذا التأويل وهذه الأبعاد المعاصرة، فأصبح كلّ من يؤدي هذا الدور الخياني جديراً بأن يكون أبا رغال ولابدّ من الإشارة بأن الشاعر اختار الكنية لشهرتها و لم يختر الاسم المباشر أو اللقب. وفي المقتبس التالي يقول:

فاكنس بمكنسة الجهادِ الوَحلَ/ و استأصل جذورَ "أبي رغالْ"/ «لا يسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى»/ حتى يزال الإحتلالْ (نقوش على جذع نخلة: ١٢٩)

فالشاعر في هذه الأبيات يعلن الجهاد لاستئصال جذور المنافقين والمخبرين الذين جاؤوا بالاحتلال أو باركوه .

٣-٤- شخصيات إسلامية:

يسعى السماوي إلى استخدام موتيف الشخصيات الإسلامية وسيلة للإعادة والإلحاح والتأكيد على ما في ذهنه لإصلاح الواقع، ولهذا فهو لم يكن معنياَ بتكرار اسم بعينه بقدر ما يبحث عن قيم ومبادئ تتمثل في الأشخاص.

ومن اللافت للانتباه أن شخصيات الشاعر المستدعاة كانت شخصيات متمردة ولكنّها لم تشكل تمرداً جماعياً، ولذلک منيت بالهزيمة، فاختار السماوي لحظة انهزامها لكنها توافق واقعه.

فإن الصور التي يرسمها الشاعر لهؤلاء الأبطال تتلألأ فخراً ومهابة وجمالاً وزهواً حيث يجعل كلاً منهم رمزاً وأمثولة تُحتذى بعد أن يجسّد بطولاتهم، ويضع الأجزاء الصغيرة للموقف تحت العين الفاحصة، فيعطي المفاهيم والمعاني مزيداً من التألق واللمعان والبهاء والشموخ

Archive of SID

www.SID.ir

بألفاظه الـــمناسبة، واشتقاقاته الرائعة، وتشبيهاته الـــجميلة الـــمذهلة، واستعاراته الـــجديدة غير الـــمكررة.

استدعاء يحيى السماوي لهذه الشخصيات أو تلك التي تناغمت في دلالتها مع الوجدان العربي هو دليل انتمائه لأمته، فالامام الـــحسين (ع) وأبوذر الغِفاري يرمزان إلى البطل العراقي.

٣-٤-١- شخصية الإمام الـــحسين(ع):

نجد مجموعةً من الأسماء التي يذكرها يحيى السماوي لا تأتي لمجرّد الدلالة على شخصياتٍ موجودةٍ على أرض الواقع بقدر ما تدلُّ على قيمٍ وأفكار ومعانٍ يريد الشاعر أن يشيرَ إليها، منها شخصية الامام الـــحسين بن علي(ع). إنّ السماوي يستحضر مأساة كربلاء ليأخذ منها نموذج التضحية والفداء قبل البكاء والأسى على ما جرى لأهل البيت (ع)، فالإمام الـــحسين (ع) رمزٌ خالدٌ للتضحية والفداء من أجل الـــمبدأ / الدين، وهو رمز الباحث عن العدالة ونُصرة الـــمستضعفين في وجه الـــجبروت.

لقد رأى الشعراء في الإمام الـــحسين(ع) الـــمثل الفذ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفاً أن معركته مع قوى الباطل ستؤدي إلى شهادته وشهادة أصحابه، ولكن ذلك لم يـــمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها، موقناً أن هذا الدم هو الذي سيحقق لقضيته الانتصار والـــخلود، وأن في استشهاده انتصاراً له ولقضيته (عباس، ١٩٧٨م: ١٦١)؛ يقول يحيى السماوي:

أخفتَ الـــموتَ حـــتى خرَّ ذُعرا ... فأنتَ الـــحي والـــــموتُ الدَّفينُ
جهادُكَ آخِرُ الآيـــاتِ خُـــطّـــتْ ... بنور الـــعرشِ سُورَتُها " حُسَيـــنُ"

(السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع الـــمثقف)

فقد استدعى السماوي شخصية الإمام الـــحسين بهذه الدلالة؛ ليعبر من خلالها عن أن الهزيـــمة التي تتلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، واستشهاد أبطالها الـــمادي أو الـــمعنوي ــ انـــما هو انتصار على الـــمدى الطويل لهذه الدعوات والقضايا.

والشعراء ينتظرون ثورة تتسم بهذه الـــمبادئ الـــمثالية، ثورة حسينية حقيقية بعيدة عن التزييف والتزوير. ثورة من وجهة نظره يحال بين صاحبها وماء الـــحياة، ثورة يدفع فيها حياته ثـــمناً لدعوته. لذلك اهتم بها الشعراء وأكثروا من توظيف هذه الشخصية في شعرهم. ولا

Archive of SID

www.SID.ir

نكاد نجد شاعرا يخلو ديوانه من ذكر لها. و أصبحت ثورة الحسين منتجعا لأفئدة و أهواء كل من ثاروا على ظلم، أو ثاروا من أجل قضية شرعية أو إسلامية؛ يقول السماوي مخاطباً الإمام الحسين (ع):

فأنتَ لكلِّ ذي عزمٍ حسامٌ وأنت لكلِّ مذعورٍ حُصونُ

(السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

و كما يقول في رثاء الشهيد كامل شياع:

و الناهضين إلى الصباح/ و ناسجي ثوبِ المحبّةِ/ من حرير الياسمينْ/ باسم الحسين../ و باسم موسى../ و ابن مريم../ باسم كلّ الطيبينْ (لماذا تأخرتِ دهراً: ٩)

إن السماوي يقدّم رمز الحسين (ع) كبطل عظيم وشجاع بدلالات القيم النفسية والحسية. فالحسين (ع) في شعر السماوي بطل التراجيديا، وليس مجرد بطل التاريخ الحقيقي؛ وفي ظل هذه الظروف المأساوية التي يعاني منها العراق وعموم البلاء وقلّة المعين يخاطب الشاعر الإمام الحسين (ع) و يطلب منه أن يقوم بثورة جديدة:

أبا الأحرار هلّا قمْتَ فينا ؟ فقد عمَّ البلاءُ .. ولا مُعينُ
فيا مَنْ " حاؤهُ " حَقٌّ وحِلمٌ ويا مَنْ " سِينُهُ " مُنْجٍ سَفينُ
ويا مَنْ "ياؤهُ " يسْرٌ ويمٌّ ويا مَنْ "نونُهُ " نورٌ مُبينُ

(السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

إذن حروف اسم الحسين من الحروف المقدسة عند الشاعر، والتي تشعل الحب الحقيقي في النفوس المطمئنة للحق الإلهي، والتي أصبحت لائحة يحتذى بها في التضحية والفداء من أجل كرامة الإنسان وحفظ كلمة الحق.

و يأخذ رمز الحسين موقعاً عميقاً في بعض قصائد السماوي، فقد كتب الكثير من القصائد التي تتضمن الفكر الحسيني: كقصيدة **"يا آل ياسر"** المنشورة في مجموعة "قلبي على وطني"، وقصيدة **"نداء إلى أبي ذر الغفاري"** ...، وثمة قصائد كثيرة تتضمن هذا المنحى كقوله في قصيدة **"عصفا بهم "**من مجموعة "نقوش على جذع نخلة " مخاطباً الشعب العراقي:

حاشاك تنثرُ للغزاة ورودا فلقد خُلِقتَ كما النخيل عنيدا
لازال فيك من "الحسين" بقيةٌ تأبى تُبايعُ في الخنوع "يزيدا"

(نقوش على جذع نخلة: ١٢)

Archive of SID

www.SID.ir

و يكشف بتكراره لـــمأساة الإمام الـــحسين عن صدى إنكساري معين؛ أو شعور نفسي ضاغط على ذاته كالقلق و الوجع، والغضب، والشعور بالأسى والـــحزن والتوتر، كما في قوله:

"طفلٌ بلا ساقينْ/ وطفلةٌ مشطورةٌ نصفينْ/ وطاعِنٌ دونَ يدٍ/ وامرأةٌ مقطوعةُ النهدينْ/ وكُوَّةٌ في قِبَّةِ "الـــحسينْ"/ جميعها: حصادُ طلقتينِ من دبابةٍ/ مرَّت بـــ "كربلاءْ"/ تحيةً ليومِ "عاشوراءْ" (نقوش على جذع نـــخلة: ١٢٥)

يعلّق الناقد السوري الأستاذ عصام شرتح على هذا الـــمقتبس كما يلي: « يأتي تكرار الأصوات الـــمجهورة، ممثلة بالنون والهمزة، مكثفاً الصدى الانفعالي للذات الشاعرة، وباعثاً شعوريا على الإحساس بالأسى الشعوري، إزاء ما يحدث في العراق من جرائم واغتيالات؛ إذْ إنَّ تنوين الكسر وتنوين الرفع جاء كاشفاً عن الـــحركة النفسية الدالة على الشعور بالـــحزن، والأسى الـــمرير على الـــجرائم التي يقترفها الـــمحتل في العراق دون رحمةٍ أو شفقة؛ وهذه الـــجرائم استرجاع لجريمة مقتل الـــحسين. هكذا جاءت الأصوات فاعلة في تحفيز الرؤية وتعميق الشعور الانفعالي الـــحزين إزاء كلّ الـــمصائب والآلام العاصفة التي تمر على الشعب العراقي ابتداءً من جريمة اغتيال الـــحسين إلى الـــجرائم الكثيرة التي تحدث في العراق» (شرتح(آ) ،٢٠١١م: ٣٣٧).

٣-٤-٢- شخصية أبي ذر الغِفاري:

تبرز تجربة أبي ذرّ الغفاري في الـــمعارضة من خلال قصائد كثيرة في الشعر العربي الـــمعاصر. وينظر إليه باعتباره الـــمطارد في سبيل موقفه الذي يدعو إلى عدالة بين الـــجميع، و يرفع الصوت عالياً مـــحتجاً، وهو يرى النقاء الثوري زمن النبي يتحول إلى ترف وابتعاد عن طهر الثورة الأولى، فقد اتخذوا بعده ستور الـــحرير ونضائد الديباج، وكان رسول الله ينام على الـــحصير.. ويطاف عليهم بألوان الطعام، و كان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير (الصوري، ١٩٧٩م: ٧٣).

ومن أهم مواقف أبي ذر التي يستدعيها الشعراء صموده العنيف في مواجهة (عثمان بن عفان) و(معاوية بن أبي سفيان)، حتى مات منفياً في الرّبذة، ثم إصراره العنيف أيضاً على الوقوف إلى جانب الفقراء، و الدعوة إلى توزيع الأموال بالـــمساواة بين الناس ودعوته إلى

Archive of SID

www.SID.ir

خروج الـــجائعين على السلطان وإشهار سيوفهم في وجهه حين لا يجدون قوتاً لأطفالهم.. (الكركي، ١٩٨٩م: ١٩٨).

لا ريب أن التماثل الدلالي بين حياة "أبي ذر" وحياة الإنسان العراقي الـــمعاصر، ينتج دلالات جديدة منها الثورة، والسير وحيداً، والـــموت وحيداً، والنفي مرتين، ورفض البذخ والترف واكتناز الذهب والفضـــة، بالإضافة إلى القمع السياسي زمن "معاوية"، مقابل الاحتلال زمن التخاذل العربي. وهذا كله جعل من شخصية "أبي ذر" رمزاً إنسانياً بدأ برفضه لموقف" عثمان بن عفان" من أموال الغنائم، إلى اضطهاده، ثم موته منفياً. ولهذا يستثمر الشاعر هذه الأبعاد ليعقد صلة بينه وبين الإنسان العراقي، ويطلق صرخة احتجاج في وجه الأنظمة العربية الـــمعاصرة التي تعيش حياة ترف و بذخ.

ولا يخفى أنّ الشاعر يحيى السماوي يتماهى مع شخصية أبي ذر ويتقمّص هذه الشخصية لأن هناك قواسم مشتركة بينهما، فكلاهما ثارا على الـــحكومة وكلاهما كان منفيين.

وما اختياره لهذه الشخصية العظيمة إلاّ ليعبر من خلالها عن أن الهزيمة التي تلقتها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، واستشهاد أبطالها، الـــمادي والـــمعنوي، إنما هو انتصار على الـــمدى الطويل لهذه الدعوات والقضايا. وأبو ذر الغفاري شخصية ارتبطت بالتمرد على الواقع الفاسد في عصرها؛ يقول السماوي:

أبا ذرْ/ قمْ/ إنّ سيفك الذي ينام في الـــمتحفِ/ ماعانقه الفرسانْ/ وقومك الذين بايعوك أمسِ/ أنكروا البيعةَ/ خانوا النهر والبستانْ / ومنذ أن غفوتَ والقاتلُ قاضٍ / واللصوصُ يمسكون قبضة الـــميزانْ (هذه خيمتي فأين الوطن: ٢٣ -٢٤)

إذن السماوي ينظر إلى أبي ذر الغفاري باعتباره الرائد أو الـــمخلص أو الـــمنقذ من معمعة هذه الـــمهزلة.

أبا ذرْ / لا العشبُ في الـــحقولِ/ لا الـــموجةُ في النهرِ/ و لا الإله في الأذانْ/ فغادرت ظلالها الواحاتْ/ ونحن في سباتْ/ وليس من مؤذّن يهتف بالـــجهاد في الصلاةْ/ "بلال" في زنزانةٍ مجهولة قد ماتْ/ لذا فنحن اليوم لا نميز الأصواتْ (الـــمصدر نفسه: ٢٤ و ٢٥)

هنا يحسّ الشاعر بالأسى والـــخزي والـــحزن والندم تجاه ما يحصل في الأمة العربية والـــمجتمع العربي؛ فهو يرى بأن مجتمعه يتلاشى ويتآكل من الداخل بسبب النزاعات السياسية والقضايا الاجتماعية. ثمّ إن القضايا السياسية والاجتماعية التي يراها الشاعر في

Archive of SID

www.SID.ir

الـــمجتمع العربي، تُثقل كاهله؛ فلهذا هو يبحث عن مخلّص ينقذه من مآسيه، ويبعث الـــحياة من جديد. فأبوذر الغفاري رمزٌ للحرية والثورة والـــخصب والانبعاث، وهو بمثابة ملاذ آمن للشاعر، يحاوره الشاعر ويخاطبه راجياً أن يجد فيه بريق الـــخلاص والطمأنينة، فيستنجد به ليطيح بالوثنية الـــجديدة:

كلّ عصرٍ / و له "ربٌّ" و "هولاكو" جديدٌ../ فلِمَن جيشتِ الـــخوذة أمريكا/ و أرسلت سُفنا؟/ ألكي يصبحَ "حرّاً" بيتنا؟/ و "سعيداً" غدنا؟/ يا أباذر الغفاري ألا قمتَ بنا؟ (البكاء علي كتف الوطن: ٤٤)

ويضفر الشاعر نسيجاً واحداً من خيطين مختلفين، أحدهما من وحي شجاعة أبي ذر الغفاري وفضائله، والآخر مشهد عصري يدل على الـــجبن واستمراء الولوغ في مستنقع الـــخنا والرذيلة التي يعربد فيها أشباه الرجال، على حين تخضب الأرض من حولهم وتحتهم دماء الأبرياء:

أبا ذرْ/ تـــعَـــلـــمَ الرجالُ بعدك الـــحروبَ/ في زوايا غُـــلـــَبِ الليلِ/ وفي الـــمؤتمراتِ../ في الإذاعات ../ البيانات التي لوّثتِ الـــجدرانْ / فانتصروا بالدفّ والـــمذياع والغناءْ/ ونحن؟/ نستحمُّ في بحيرةِ الدماءْ (هذه خيمتي فأين الوطن: ٢٥)

ويستخدم الشاعر في النص التالي تقنية التضاد: القاتل واللص قاضيان، والـــميدان الذي تـــجَوّل فيه الفرسان حديقة للعجزة والـــجبناء، والرداء الأبيض للصحابي الـــمناضل الطاهر ثوب للغانية التي ترقص للسلطان في الليالي الـــحمراء:

ومنذ أنْ غفوتَ والقاتلُ قاضٍ/ واللصوصُ يمسكون قبضةَ الـــميزانْ/ أبا ذرْ/ وأصبح الـــميدانْ/ حديقةً يصولُ في أرجائها الأشـــلُّ/ والـــمعمودُ والـــجبانْ/ وثوبك الأبيض شـــالٌ للأنـــيـــسةِ التي/ ســـامرها السلطانْ (الـــمصدر نفسه: ٢٣ و٢٤)

وفي الـــمقطع الأخير يرسم يحيى السماوي لوحةً تشكيليةً من دم قلبه تخضبتْ ومن دماء قتلى الإخوة الأعداء التي تملأ ساحات الـــمدن العربية وأزقتها، وقد سقطوا فيها صرعى الغدر والـــخيانة:

أبا ذرْ/ أمسِ رأيتُ الـــجثث الـــملقاةَ في الشوارع الـــخلفيةْ/ لكنما الـــثـــقـــوبُ في ظهورها/ تنبتُ كالزنابق الـــحمراءْ/ فاعلمْ بأنَّ القاتلين إخوتي / وأنَّ من داخلنا الأعداءْ/ وليس من نداءْغير الـــمناشـــير التي تبصقها الريح/ وغير الـــخطبِ الـــجوفاءْ/ تـــُطلـــَقُ من فنادق الغرب / ومن صالاته الـــخضراءْ (الـــمصدر نفسه: ٢٦)

Archive of SID

www.SID.ir

كما نلاحظ إنّ الكثافة التكرارية في استدعاء شخصية أبي ذر الغفاري لها أثر في نفس المتلقي، والتكرار هنا تكرار معنى، و ليس تكرار لفظ، إذ إنه اكتسب مواقعه عند الناس من خلال ما قام به من بطولات، كان لها بالغ الأثر في النفوس. والسماوي استطاع أن يوظّف هذه الشخصية من خلال هذه الكثافة التكرارية للمعنى خدمة لنصه بما ينسجم مع تطلعات المتلقي.

النتيجة

يعتبَر الـموتيف في النص الشعري أداة جمالية تؤدي وظيفة أسلوبية تكشف عن الإلـحاح والتأكيد الذي يسعى إليه الشاعر في نتاجه الأدبي. فالشاعر يضخّ من خلال الـموتيف ما يتراكم في داخله وما يعتمل في صدره، ليفرّغ الشحنات التي تتصادم وتقدح بين أضلاعه كعملية تنفيس وتخليص. والشاعر العراقي يحيى السماوي استخدم هذه التقنية في شعره، وكان يضفي على بعض هذه التكرارات مشاعره الـخاصة، فهي بمثابة لوحات إسقاطية يتخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات التي واجهها في حياته، إضافة إلى إحساسه الـمرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية أيضاً.

و من أبرز الـموتيفات التي وردت كثيرا في تجربة السماوي الشعرية استدعاؤه لشخصيات تراثية لما فيها من قدرة على توجيه الأفكار وتعميق الرؤية الفنية وإثراء النص وتخصيبه؛ ومن أبرز هذه الشخصيات، شخصية الشعراء القدامى والفنانين العراقيين، وشخصيات تراثية كالـمعتصم، وصلاح الدين، وأبي رغال، وشخصيات إسلامية كالإمام الـحسين (ع) وشخصية أبي ذر الغفاري. وهذا التوظيف قد عبّر عن موقف الشاعر، وما يعانيه من الـحزن العميق لبعده عن وطنه الـجريح، وما يمر به من الآلام والـمآسي. والسماوي قد رسم من خلال توظيف هذه الشخصيات، صورة معبرة عن مأساة الشعب العراقي في زمن سيطرة "حزب البعث" على العراق، وبعده "الاحتلال الأمريكي" وجرائمه البشعة في العراق.

والسماوي قد أحسن توظيف هذه الشخصيات في سياق التعبير عن همومه الذاتية وتصوير خوالجه النفسية في أجواء غنائية مفعمة بالـحزن والألم والتشرد والـحنين إلى وطنه العراق.

Archive of SID

www.SID.ir

الـــمصادر

ابن منظور الـــمصري، أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـــ.

اسلامي، مجيد، **مفاهيم نقد فيلم**، تهران، نشر بي، ١٣٨٦هـــ ش.

اسماعيل، عزالدين، **الشعر العربي الـــمعاصر / قضاياه و ظواهره الفنية و الـــمعنوية**، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٢م.

بدوي، محمد جاهين، **العشق والاغتراب في شعر يحيى السماوي (قليلك لا كثيرهنّ نموذجاً)**، دمشق، دار الينابيع، ط١، ٢٠١٠.

تقوي، محمد، الهام دهقان، « موتيف چيست و چگونه شكل می‌گيرد»، طهران، مجلة نقد أدبي، جامعة تربيت مدرس، العدد ٨، صص ٢٧ – ٧، ١٣٨٨هـــ ش.

حداد، علي ،**أثر التراث في الشعر العراقي الـــحديث**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، ١٩٨٦م.

خفاجي عبد الـــجواد، «**قراءة في قصيدة يحيى السماوي؛ يا صابراً عقدين إلا بضعة» ضمن كتاب، "تجليات الـــحنين في تكريم الشاعر يحيى السماوي" لـــماجد الغرباوي**، ج/٢، ٢٠١٠م.

زايد، على عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الـــمعاصر**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

السماوي، يحيى، **هذه خيمتي.. فأين الوطن؟**، ملبورن، استراليا، مطبوعات، ط١، ١٩٩٧م.

ـــــــــــ ، نقوش على جذع نخلة، استراليا، منشورات مجلة كلمات – سيدني، ٢٠٠٥م.

ـــــــــــ ، **البكاء على كتف الوطن**، دمشق، التكوين، ٢٠٠٨م.

ـــــــــــ ، **لـــماذا تأخرت دهراً**، دمشق، دار الينابيع، ٢٠١٠م.

الشامي، حسن، «مفاهيم أساسية في دراسة الـــموروث الشعبي الشفهي»، الرياض، مـــجلة الـــخطاب الثقافي– دراسات، جامعة الـــملك سعود، العدد الثاني،صص٥٩-٦، ٢٠٠٧م.

شرتح، عصام، **آفاق الشعرية / دراسة في شعر يحيى السماوي**، سوريه، دار الينابيع، ط١، ٢٠١١م.

الصوري، محمد علي، **أبوذر الغفاري الاشتراكي الـــمطارد**، بيروت، الـــمؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط١، ١٩٧٩م.

طه، الـــمتوكل، **حدائق ابراهيم**، بيروت، الـــموسسة العربية للدراسات و النشر، ط١، ٢٠٠٤م.

عباس، إحسان، **إتجاهات الشعر العربي**، الكويت، الـــمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٩٧٨م.

القرني، فاطمة، **الشعر العراقي في الـــمنفى (السماوي نموذجاً)**، الرياض، موسسة اليمامة الصحيفة، ط١، ٢٠٠٨.

الكركي، خالد، **الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الـــحديث**، بيروت، دار الـــجيل، و عمان، مكتبة الرائد العلمية، ط١، ١٩٨٩م.

Archive of SID

www.SID.ir

مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي المغرب، ط٢، ١٩٨٦م.

الإنترنت:

فائزي، فاطمه ، « **التراث الديني .. مفهومه ووظيفته في الشعر العربي المعاصر**»، موقع المثقف، العدد ١٧٦٦، على الرابط التالي، ٢٠١١م:

http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=48998:2011-05-23-11-47-09&catid=34:2009-05-21-01-45-56 & Itemid=53

Archive of SID

www.SID.ir